حصن الاخيضر

أقدم المباني الدفاعية في العراق

أ.د. رفاه جاسم السامرائي•

الملخص:

تعد المباني الدفاعية عن العمائر التي ساهمت في الحفاظ على امن المدن العربية الاسلامية خلال العصور المنصرمة، فضلا عن حفاظها على الطرق التجارية والحيوية.

وحصن الاخيضر من اقدم المباني الماثلة في العراق، ويحتفظ بعناصره الدفاعية كالابراج والمزاغل والمداخل المحصنة فضلا عن العناصر العمارية كالعقود والاكتاف والعتبة وعناصر اخرى.

ان موقع الحصن في البادية الغربية من العراق اكسبه الصفة الدفاعية ومن خلال الدراسات المستفيضة حول الحصن حدد الباحثون تاريخ بناء الحصن الى النصف الثاني من العصر العباسي.

الكلمات الدالة:

حصن ، دفاعي ، عباسي ، مبنى ، الاخيصر .

• **استاذ الاثار الاسلامية بكلية الاداب – جامعة بغداد، رئيس تحرير مجلة دراسات في التاريخ و الاثار** dr.albazzi@gmail.com

مقدمة:

تميزت العمارة العربية بتنوع المبان ما بين دفاعية ومدنية ودينية وخدمية، ولكل منها وظائفها وخصائصها.

وتعد المباني الدفاعية من العمائر التي ساهمت في الحفاظ على امن المدن العربية الاسلامية خلال العقود المنصرمة، فضلا عن حفاظها على الطرق التجارية من اقدم ما هو ماثلا لحد اليوم، حصن الاخيضر الذي يمثل انموذجا ظهرت فيه كل العناصر العمارية في العمارة العربية الاسلامية. وحظي المبنى بوافر من الدراسات سواء من المستشرقين او الباحثين العراقيين. ويقع الحصن في البادية الغربية الى الجنوب الغربي من مدينة كربلاء بمسافة ٥٠كم، وحوالي ١٥٢كم الى الجنوب الغربي من مدينة بغداد[١].

واذا ما انتقلنا للتعرف على تاريخ الحصن لابد من غرض اراء الباحثين للوقوف على تاريخ الحصن لابد من عرض اراء الباحثين للوقوف على تاريخ بناء الحصن، من خلال الادلة. ان اهم ما يميز الدراسة حول الحصن هو تعدد الاراء التي ارجعته الى عصور مختلفة ومنها عصر قبيل الاسلام والعصر الاموي والعباسي.

ان انعدام الاشارات التاريخية وعدم وجود كتابة في المبنى تشير الى تاريخ بناء الحصن، هو السبب الذي دفع الى ظهور مثل هذه الاراء.

وقد اشار العلامة مصطفى جواد في عام ١٩٤٧ الى ان المبنى اثر من اثار الساسانيين معتقدا بأن طراز العمارة بعيدة عن العمارة العربية[٢].

اما بخصوص المستشرقين، فان البعض منهم طراح اراء حوله، ومنها ماسينون الذي اشار في عام ١٩٣٣ بانه من العمائر الساسانية ونسب بناءه لاحد ملوك الحيرة[٣] من اللخميين[٤] بناه له معمار ايراني وربما كان قصر السدير الذي تحدث عنه الشعراء[٥].

---

[١] علي محمد مهدي، الاخيضر، مديرية الاثار العامة، بغداد، ١٩٦٩، ص٩.

[٢] المصدر السابق نفسه ورقم الصفحة.

[٣] الحيرة: مدينة تضم قضاء المناذرة وتقع ضمن الحدود الادارية لمحافظة النجف وتقع على طرق العراق الغربي، نبيل عبد الحسن راهي، الاديرة والكنائس المسيحية في ضوء المصادر التاريخية والتنقيبات الاثرية حتى نهاية القرن الثامن الميلاد، اطروحة دكتوراه غير منشورة كلية الاداب- جامعة بغداد ١٣٣٧هـ- ٢٠١٦م/ وكانت عاصمة لدولة المناذرة التي قامت قبل ظهور الاسلام، صالح احمد العلي، محاضرا في تاريخ العرب، الموصل، ١٩٨١، ص٦٤.

[٤] اللخميين: بنو نصر بن الحارث بن المالك بن فهم بن لخم حكموا مدينة الحيرة ونالوا شهرة واسعة واصبحت في عهدهم مملكة لامعة ودولة ذات كيان مستقل، نبيل، المصدر السابق ص٣٠.

[٥] دائرة المعارف الاسلامية، ١٩٣٣، ج١، ص٥٣.

وتتقدم كربترود بل الرأي عند زياتها للحصن عام ١٩٠٩ بانه من الابنية الاسلامية التي بنيت في العصر الاموي واتفق معها بالرأي كم اوسكار روبتر وهرتسفيلد وموزيل وكريزويل الا انهم خالفوها في تسميته الى العصور الاموي[٦]. وقام اوسكار روبتر بمسح تام للحصن وقام باعداد مخططات كاملة وتحقق من المسجد بعد ازالة الانقاض من الضلع الجنوبي لبنائه المسجد فكشف عن المحراب[٧]. اما هيرتسفلد فقد ذهب الى ان الحصن من الابنية التي شيدت في القرن الثالث للهجرة، مشيرا الى ان التشابه الموجود بينه وبين الابنية الاسلامية في سامراء[٨].

ويعتقد كريزول بأن الحصن شيد في العصر العباسي الاول (القرن الثاني للهجرة) ويحتمل ان يكون تشييده من قبل عيسى بن موسى ابن اخ السفاح والمنصور وولي عهد الاخير في الخلافة وكان واليا على الكوفة من قبل المنصور. ويستند كريزول رأيه عن زمن البناء بأدلة علمية اثارية بمقارنته بالابنية الاسلامية المعروفة[٩].

لقد وقع هؤلاء المستشرقين ومن كتب عن الحصن حصل لبس حول تحديد تاريخه، الا ان ما قامت به مديرية الاثار العامة في عام ١٩٣٧ من دراسة للحصن كانت على جانب من الصواب عندما حددت تاريخه في اول نشرة اصدرتها مستندة الى الادلة التي اوردها كريزويل، وتايد ما ذهبت بتحرياتها في السنوات الاخيرة في اثناء قيامها باعمال التحري والصيانة الاثرية خارج الصحن وداخله من التثبت من ان تاريخه يقع في فترة ضيقة من القرن الثاني للهجرة[١٠]. وان هذا الرأي يستند على الادلة التي تتمثل في ظهور الطراز الخيري[١١] ذو العدد والكمين[١٢]، في ابرز اقسام الحصن وهي مجموعة من البيوت ذات الأوابين، فضلا عن وجود المسجد الذي يضم محراب ومن خلال التحري فأن المسجد من اصل البناء ولم يستحدث ا قسم منه.

---

[6] Bell, G.L. Place and Mosue at ukaidir, oxford, 1919, O.30.

[٧] علي، المصدر السابق، ص١١.

[٨] سامراء/ الحاضرة الثانية للخلافة العباسية بناها الخليفة العباسي المعتصم بالله (٢١٨- ٢٢٧ه) وذلك في سنة ٢٢١ه، وتقع على مسافة ١٢٠كم شمال مدينة بغداد، سكنها ثمانية من الخلفاء العباسيين بدءا بالمعتصم واخرهم الخليفة المعتمد على الله الذي غادرها سنة ٢٧٩هـ عائدا الى بغداد، رفاه جاسم السامرائي، مدرسة سامراء في التصور العربي الاسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الاداب- جامعة بغداد، ١٩٨٦م، ص١٤.

[٩] علي، المصدر السابق، ص٦٢.

[١٠] مديرية الاثار العامة، الاخيضر، بغداد، ١٩٣٧، ص١٠.

[١١] الطراز الحيري، وحدة بنائية مؤلفة من ديوان على جانبيه تتوزع حجر وسمي بهذا الاسم نسبة الى المدينة الحيرة التي ظهر الطراز في مبانيها، رفاه، الطراز الحيري في العمارة العربية الاسلامية، مجلة كلية الاداب، جامعة بغداد، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٧، العدد ٧٦، ص٤٨١.

[١٢] احمد فكري، المدخل، مصر، بدون تاريخ طبع، ص٢٤٣.

ومن المعروف ان اول محراب مجوف ادخل الى المسجد النبوي الشريف كان في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك (٨٦هـ- ٩٦هـ)[١٣].

وثمة عنصران اخران عماريان يحددان لنا زمن الاخيضر الى ما بعد هذ التاريخ اولهما طراز العقادة المتصالبة (المتقاطعة) المتواجدة في ثمانية مواضع من الرواق بالرحبة[١٤]. ولاتزال باقية لحد اليوم.

اما العنصر الثاني هو طراز الزخرفة الهندسية بالاجر والتي يحدها في الجدار الجنوبي ويعرف بزخرفة هزار باف.

ومن الادلة على ذلك شكل العقود فهي لم تكن واضحة التدبب الذي هو من خصائص العمارة في العصر العباسي ونراها بوضوح في عمائر مدينة سامراء، وهذا ما يحملنا على الاعتقاد بأن بناء الاخيضر كان قبل بناء مدينة سامراء[١٥].

وتمثل قطع الفخار والخزف دليل اخر على تحديد التاريخ التقريبي للحصن، حيث وجدت قطع داخل مرافق الحصن وعلى ارضياتها كلها من القطع التي وجدت في اطلال مدينة الحيرة، وليس في مجموعة الاخيضر من الخزف المكشف في سامراء ما يدل على ان مجموعة الاخيضر هي في حدود القرن الثاني/ الثامن الميلاد[١٦].

ونضيف دليل اخر هو العثور على نقود تعود للعصر العباسي من عهد الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور (١٣٦- ١٥٨هـ) والمهدي ١٥٨هـ-١٦٩هـ وهي واضحة تحمل اسم الخليفة والسنة التي سكن بها وعثر على هذه المسكوكة (التبان) الارضية مباشرة وهذا ما يحملنا على الاعتقاد بأن الحصن تم بناؤه كان في العصر العباسي وفي عهد الخليفة ابو جعفر المنصور والمهدي، وذلك من خلال المسكوكة النحاسية من سنة ١٥٧هـ وهي:

الوجه لا اله الا الله وحدة لا شريك له

الظهر محمد رسول الله (عدل)

طوق الوجه: بسم الله ضرب هذا الفلس بمدينة السلام سنة سبع وخمسين

---

[١٣] عيسى سلمان واخرون، العمارات العربية الاسلامية في العراق، بغداد، ١٩٨٢، ج١، ص٢٣.

[١٤] زخرفة الهزار باف: زخرفة هندسية ناتجة من التفنن بوضع الاجر بصورة افقية وعمودية ينتج عنها زخرفة حصيرية، غازي رجب محمد، العمارات العربية الاسلامية، بغداد، ١٩٨٣، ص٩٠.

[١٥] محمد، المصدر السابق ص١٨.

[١٦] طاهر مظفر العميد، الاخيضر ومظاهره العسكرية، نخبة من الباحثين العرقيين، بغداد، ١٩٨٥، ج٩، ص٢٠٧.

طوق الظهر: بسم الله مما امر به عبد الله امير المؤمنين اعز الله نصره[١٧].

ومما سبق يمكن الاستدلال ومن خلال نصوص المسكوكة ان تاريخ بناء الحصن يرجع الى منتصف القرن الثاني للهجرة، وذلك لان المسكوكة وما تحمله من نصوص هي دليل قاطع على تحديد التاريخ.

واضافة لما ذكر من ادلة حول تاريخ القصر، يشير كريزول الى احتمال ان يكون الذي شيد الحصن هو عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وهو ابن اخ المنصور وولي عهده. وهذا الاحتمال قد يكون جائزا وذلك لان مثل هذا البناء يجب ان يكون في عهد خليفة او امير يتمتع بنفوذ وسلطة مركزية، او ان هناك ظروفا حربية تستدعي نشيد مثل هذا الحصن المنيع، ومن المعروف ان عيسى بن موسى اقوى شخصية في ذلك العهد، وكان يومئ واليا على الكوفة من قبل الخليفة المنصور[١٨]. واذا ما انتقلنا الى التسمية فأن احصن لم يكن معروفا بأسم الاخيضر قبل القرن السابع لان الرحالة الايطالي بترو دلافاله ذكر ان المنطقة يسمونه قصر الخفاجي، اما معنى الاخيضر فأنه لابد من ان لون الحصن يميل في مظهره الى الاخضرار وسط الخلفية التي يكونها منظر البادية والسماء[١٩].

وبخصوص وصف مرافق الحصن فهو مؤلف من عدة مبان منها المسجد واهبو الايوان وقسم الحرس وصالات الاستقبال ودوائر الخدم ودور السكن، فضلا عما نجده من عناصر دفاعية وعناصر عمارية تمثل اقدم الامثلة على ظهورها في العمارة العربية الاسلامية، والذي يهمنا هو العناصر الدفاعية التي نجدها في العديد من اقسام الحصن ومنها السور والابراج والمزاغل.

ويعد السور من اهم الاستحكامات الدفاعية للمدن والقلاع، والاسوار جمع سور، والسور حائط مرتفع بطوق بالمدينة[٢٠]. وورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى (فضرب بينهم بسور له باب، باطنه فيه الرحمة)[٢١]. اما من الناحية العمارية السور حاجز اصطناعي محكم البناء يشيد حول المراكز السكنية او اي مكان اخر يخشى عليه ويراد حمايته والحفاظ عليه، فالغرض ممن تشيد الاسوار ان تقف بشكل عام عائقا بوجه من يروم الهجوم والاغارة ويحول دون اقتحام المنطقة المسورة

---

[١٧] علي، المصدر السابق، ص١٩.
[١٨] ظاهر، المصدر السابق، ج٩، ص٢٠٩.
[١٩] عيسى واخرون، المصدر السابق، ج٢، ص٢١.
[٢٠] ابن منظور، جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر بيروت، ١٣٣٥هـ- ١٩٥٧م، ج٥، ص١٠٦.
[٢١] سورة الحديد، اية ١٣.

والسيطرة عليها[٢٢]. ويتألف السور من عدة اجزاء، الاول هو الاساس والقاعدة ومن المعروف انها تبنى من مواد بنائية اكثر تحملا من تلك المستخدمة في بناء بدن السور، والجزء الثاني هو بدنه الذي يبنى فوق الاس ويشيد عادة من التراب او اللبن او الاجر او الحجر[٢٣].

وتزود الاسوار بمجاري عمودية تحفر عند قمتها ثم تخترق بدنها وصولا الى قاعدتها تستخدم لتصريف مياه الامطار حتى لا تؤثر في بدن السور فتعمل على تصدعه وانهياره. ومن الاجزاء الملحقة بالاسوار، المراقي التي نشيد واجتها الداخلية المطلة على المدينة وتستخدم للصعود الى سطح السور او ابراجه. ومن المعروف ارتفاع السور عن مستوى المنطقة المسورة يجب ان يتناسب ارتفاعه وحجمه و امتداداته مع ارتفاعات ومستويات ابنية المدنية وحجمها ومع مواردها البنائية[٢٤].

واذا ما انتقلنا الى ابراز اهمية السور من الناحية العسكرية، فأن ارتفاع السور وترصين بنائه يكسبه صفات وخصائص دفاعية مهمة، منها احراز افضلية قصوى للمدافعين على المهاجمين وذلك لانهم يحتمون خلف حواجز عالية مما يسمح لهم بحرية الحركة والمناورة، فضلا فأن المدافعين الرابضين فوقه يتمتعون بسيطرة تامة على ساحة المعركة امامهم، ونتيجة لوقوف المدافعين في اماكن مرتفعة فأن نسبته اصابتهم بمقذوفات المهاجمين تكون ضئيلة، كما يتاح للمدافعين فرصة رمي انواع المقذوفات والسوائل الحارقة من فوق الاسوار اذا ما تمكن المهاجمون من الوصول قرب الاسوار او ربضوا اسفلها.

ومن ميزات الاسوار الدفاعية هي تأخر هجوم الاعداء واعاقة تقدمهم[٢٥].

واما بخصوص التحصينات الدفاعية لحصن الاخيضر فتتمثل بالأسوار التي تحيط بالحصن حيث تتكون خطوط الاخيضر الدفاعية من اكثر من سور، فأول هذه الاسوار هو السور الخارجي المبني باللبن ورغم اندثاره مازال يرى على شكل خط ترابي بشكل شبه منحرف ابعاده من الشرق الى الغرب (٦١٠م) للضلع الجنوبي وطوله من الشمال الى الجنوب (٣١١م) للضلع الشرقي و (٥٤٠) للضلع الغربي، ويعتبر الخط الدفاعي الاول للحصن. اما السور الثاني فهو السور الرئيس للحصن، وقد شيد بالحجر الكلسي غير المهندم، والسور مستطيل الشكل تقابل جدرانه الجهات

---

[٢٢] محمد طه محمد الاعظمي، الاسوار والتحصينات الدفاعية في العمارة العراقية القديمة، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب- جامعة بغداد، ١٩٩٢، ص١٩٢.

[٢٣] محمد طه، المصدر السابق نفسه ورقم الصفحة، وفارق محمد علي، الاستحكامات الدفاعية في تخطيط المدن او العمارة العربية الاسلامية في العراق حتى نهاية العصر العباسي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كطلية الاداب، جامعة بغداد، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م؟، ص٦٦.

[٢٤] محمد طه، المصدر السابق، ص١٩٣، وفارق، المصدر السابق، ص٩٦.

[٢٥] طاهر، المصدر السابق، ج٩، ٢٠٨.

الاربع، طوله من الشمال الى الجنوب (١٧٥,٨٠م) وعرضه من الشرق الى الغرب (١٦٣,٦٠م)[٢٦] والارتفاع المتبقي من جدرانه حوالي (١٩م) ويعتقد ان ارتفاعه الكلي كان (٢١م)[٢٧].

ويضم السور (٩٤) حنية وتوزعت بواقع (٢٤) البوابة الضخمة اثنتين من هذه الحنايا، وتنتهي كل حنية في اعلاها بعقد خفيف التدبب[٢٨].

ويزين الجزء العلوي للضلع الشمالي من السور شريط من حنايا صغيرة تستند الى انصاف اعمدة صغيرة نصف اسطوانية مندمجة من المحتمل انه يدور حول الجزء العلوي من السور[٢٩]. بني السور وابراجه بشكل صلد ولارتفاع (١٠.م) وبعضها ينقسم السور الى جدارين يحصران بينهما ممرا (دهليز) عرضه (٢م) يدور مع اضلاع السور وله سقف قصبي على شكل نصف اسطواني والجدار الداخلي منهما يطل على الساحات الداخلية للحصن، وعلى ارتفاع (١,٨٠م) نجد فتحات لإدخال الضوء على الممر. ويتم الصعود الى هذا الممر عن طريق سلالم اقيمت في الاركان الاربعة للسور[٣٠].

اما بخصوص قوة السور فيستمدها من مجموعة عناصر توافرت فيه، منها سمكه والذي يبلغ (٥م) حتى يتعذر على العدو اختراقه بسهولة اذا ما نجح في الوصول اليه وحاول النفاذ منه عن طريق النقب، وذلك لان عملية نقب سور بهذا السمك في ظروف الحرب تحتاج الى وقت وجهد كبيرين وخاصة ابن بنائه بمادة الحجر فتكون الفرصة كبيرة امام المدافعين للقضاء عليهم من خلال رميهم بالسهام والمواد المنصهرة والحارقة، والعنصر الثاني في قوة هذا السور هو ارتفاعه الذي يرجح انه كان (٢١م) فيكون من الصعب على العدو المهاجم محاولة تسلقه او اجتيازه[٣١].

وتوجد باحة فوق كل مدخل من المداخل الاربعة للسور، يعتقد انها استخدمت مقرا لقائد الجبهة ليدير منها معركة ذلك القطاع، نظرا لطول كل ضلع وضرورة السيطرة الفعلية عليه، كما توجد بالقرب من كل باحة حجرتان صغيرتان قد تكونان مخازن للذخيرة والمواد الاخرى.

---

[٢٦] علي، المصدر السابق، ص٢٣، د. فاروق، المصدر السابق، ص٦٧.
[٢٧] علي، المصدر السابق، ص٣٢.
[٢٨] المصدر السابق نفسه ورقم الصفحة.
[٢٩] فاروق، المصدر الابق، ص٩٤.
[٣٠] المصدر السابق نفسه ورقم الصفحة.
[٣١] صبح محمد رؤوف، ود. صلاح حسين العبيدي، المظاهر العسكرية لحسن الاخيضر، مجلة سومر، العدد ٣٢، ١٩٧٦، ص١٣٨-١٣٩.

وثمة تحصينات دفاعية في حصن الاخيضر هي المداخل ويقسم اربعة مداخل مدخل في وسط كل ضلع من اضلاع السور الرئيسي وتتميز المداخل بدقة التخطيط وضخامة الاستحكامات وفخامة العمارة. وتتشابه هذه المداخل مع بعضها عدا المدخل الشمالي الذي يختلف عن بقية المداخل بحكم التحوير الذي طرأ عليه[٣٢].

يبرز المدخل عن سمت السور بمقدار (٥م) ويمتد عليه بمقدار (١٦كم) ويتوسط هذا التكوين العماري فتحة المدخل التي تتوسط برجين مستطيلين يكون كل منهما بهيئة حجرة مظلمة وعلى كل من جانبي المدخل يوجد اخدود في الجدار عرضه (٢٠سم) وعمقه (٣٠سم) وبارتفاع البرجين ويعتقد انهما احدثا لغرض الباب الحديدي المنزلق رأسيا، ويرى عدد من المختصين ان وجود باب حديدي يتقدم الباب الخشبي الذي يليه يطلق عليه الباب المنزلق رأسيا. وهو يتكون من قضبان حديدية قوية تتقاطع مع بعضها مكونة شبكة ثقيلة ومربوطة بواسطة حبال متينة بعتلة توضع في الطابق الذي يعلو فتحة المدخل مباشرة، وتنزلق هذه الشبكة في المجريين الجانبيين، ويتم فتح هذا الباب برفعه الى الاعلى بلف الحبال حول العتلة المذكورة. ويغلق بفك حبال الشبكة وعندها تنزل بثقلها الى الاسفل مكونة حاجزا منيعا خاصة في حالة تعرض الحصن الى هجوم معاد، لأنها تعيق تقدم المهاجمين، اذ ان عملية رفعها بغير استعمال العتلة تتطلب جهدا ووقتا كبيرين، وفي هذه الحالة يكون المهاجمون قد تعرضوا الى رمي السهام والمقذوفات عليهم من الاعلى[٣٣].

ويتصل هذا المدخل بمجاز معقود عرضه (٣م) وطوله (٥,٨٠م) تعلوه عقادة شبه مدببة، تتألف من سبعة عقود مستعرضة. عوض كل منها (٠,٦٠م) وتنحصر بينها ست فتحات على شكل مزاغل افقية عرض كل منها (٠,١٧م) تستخدم لصب المواد المنصهرة على جنود العدو الذين يتمكنون من اختراق هذا المدخل ويصبحوا خلف الباب المنزلق. واما بخصوص تصاميم المداخل الثلاثة الاخرى للحصن فهي متشابهة تماما وتقع فتحة كل منها وسط ربعي برج اسطواني الكل يبرز عن سمت الجدار بمقدار (٢,٦م) ويرتفع بارتفاع السور، ويلاحظ في كل من هذين البرجين وجود اخدود يرتفع بارتفاعها وبعرض (٠,٢٠م) استخدم كمجرين للباب المنزلق كما هو الحال في المدخل الشمالي[٣٤].

وجعلت سلالم المداخل خارج التكوين العماري لها، اي ان الصعود الى الطوابق العليا للمدخل لم يكن من الداخل بل جعل من الخارج اي من داخل باحة القصر وجعل لكل مدخل سلمان، يتألف كل منهما من ثلاثة طوابق يدور درجها بشكل زاوية

---

[٣٢] عيسى واخرون، المصدر السابق، ج٢، ص١٣٩.
[٣٣] طاهر، المصدر السابق، ج٩، ص١٦٩.
[٣٤] فاروق، المصدر السابق، ص١١٤.

قائمة، ويفتح السلم على كل طابق بفتحه، وزيادة في الاستحكامات لهذه الاسلم فقد زوجت بمزاغل عمودية تصوب منها السهام الى امام مدخل السلم.

وتتمثل الاستحكامات الدفاعية لحصن الاخيضر في المداخل فضلا عن ابراج المداخل، من باب حديدي منزلق وبوابات اخرى ذات متاريس من الداخل ومزاغل افقية لصب المواد المنصهرة وغرفتين مظلمتين اضافة الى السلالم[٣٥].

ومن التحصينات الدفاعية التي نجدها في حصن الاخيضر الابراج، والبرج في العمارة هو احد التحصينات العمارية المهمة، وهو على نوعين، الاول هو ما يلحق او يدمج بالبناء فيعمل دعامة ساندة لجدرانه الخارجية هو بناء مرتفع بشكل عنصر ملحقا بسور مدنية او بقلعة او قصر او اية عمارة عظيمة يتكرر عليها او يحتل اركانها او جانبي البوابات او يعلو المداخل ويبرز عادة عن سمت البناء ويأخذ شكلا اسطوانيا او نصف دائري او شكلا مربعا او مستطيلا أو مضلعا أو هرميا[٣٦].

والنوع الثاني هو البرج المستقل الذي لا يصل بغيره من الابنية (وهو المبنى العالي يرى من بعد ويشرف على اكبر مساحة ممكنة لاستطلاع العدو وارسال الاشارات الضوئية ويستخدم للدفاع ايضا)[٣٧].

والابراج المستقلة تكون بشكل عام عبارة عن كتلة بنائية صلدة او مجوفة قوية البنيان مندمجة مع بدن الاسوار، وترتفع عنه احيانا مشيدة بمساحة سطحية وحجم اكبر من بدن السور نفسه بحيث تبرز عنه وتتقدم لمسافة معينة امام واجهة السور، وهي باستطالتها هذه تأخذ اشكالا هندسية منتظمة كان تكون اسطوانية او نصف دائرية احيانا ربع دائرية او مضلعة او مستطيلة[٣٨].

فمن الناحية العمارية تسهم الابراج في دعم وزيادة وقوة وثبات السور وخاصة عند بنائها على ابعاد متقاربة في بدنه وعند اركانه، وكذلك فان الابراج تعد عماريا مناطق التقاء اجزاء بدن الجدران او الاسوار وهي بذلك تسهل اجراءات بناء السور عن قبل مجموعات متعددة تعمل كل واحدة على بناء المسافة المحددة لها بين برج واخر بمزعل عن الاخرى ثم تلتقي كل مجموعتين بنائيتين بعضها مع ببعض عند منطقة البرج وعندها يتم ربط ودمج اجزاء السور الاول دون ان يؤثر ذلك على قوة وتماسك اقسامه وهي بذلك تسهم في تعجيل العمل وسرعة بناء السور في اقصر وقت

---

[٣٥] عيسى واخرون، المصدر الابق، ج٢، ص١٩.
[٣٦] عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الاسلامية، بيروت، ١٩٨٨، ص٣١.
[٣٧] محمد عبد الستار عثمان، الاعلان باحكام البنيان لابن رامي، دراسة اثرية معمارية، الاسكندرية، ١٩٨٨، ص١٣٩.
[٣٨] محمد طه، المصدر السابق، ص٣٠٦.

ممكن[٣٩]. وكذلك فان للابراج فوائد جمالية غير مقصودة في اغلب الاحيان منها تزين واجهة السور واضفاء مسحة جمالية فنية عليه وذلك بتوزيها المتناسق على بدن السور بتصاميمها الدائرية او المضلعة مما يضفي على الواجهة الصماء حركة تبعد السامة التي تحدثها في النفس المسطحة بامتداد السور[٤٠].

اما استخداماتها الدفاعية فليست اقل اهمية جميعا، اذ ان قمة البرج تشكل مساحة من الارض تضاف الى رقعة سطح السور مما يعطي للمدافعين الرابضين فوقها مجالا رحبا يتيح لهم حرية الحركة والمناورة فوقه، كما توفر سطوح الابراج فرصة للمدافعين بالمسير فوقها والتقدم قليلا الى امام واجهة السور واتاحة الفرصة لهم لمراقبة المهاجمين وصدهم لاسيما اولئك الذين يقتربون من قاعدة السور، حيث يكون مثل هؤلاء المتسللين في موضع عند قاعدة السور يصعب مراقبتهم او صدهم فوق السور، ويصبحون بمنأى عن بصر ومقذوفات المدافعين وبذلك فان الابراج بحكم بروزها عن واجهة السور تعطي للمدافعين فوقها موضعا دفاعيا جيد يتيح لهم مراقبة جميع اقسام السور والارض المحيطة به وفرض السيطرة على ساحة المعركة امامهم[٤١]. وفي حالة الابراج المجوفة فان الجنود الرابضين بداخلها يكونون بمنأى عن رميات المهاجمين بحيث يتمكنون من القيام بواجب الرصد والرمي من خلال المزاغل المفتوحة في جدرانها بحرية اكبر، كما ان للوظيفة الدفاعية للابراج دورا في تحديد المسافات بين الابراج في اغلب الاحيان بما يتناسب مع مديات الرمي بحيث تكون المسافة بين برج واخر فدر مرى سهم، لاتصال الرمي وتقاطع السهام لتصبح المسافات بين الابراج محمية[٤٢].

وبعد ان تطرقنا الى اهمية البرج من الناحية العمارية لابد من الاشارة الى ابراج حصن الاخيضر فان استخدمت لتدعيم الاسوار، فالسور الخارجي المبني باللبن كان مدعما بأبراج نصف اسطوانية الا ان هذا السور تهدم معظمه[٤٣]. اما السور الرئيس للحصن فقد دعمت مداخله واضلاعه واركانه بأبراج ضخمة متينة انتظمت المسافات فيما بينها، يبلغ عد ابراج هذا السور (٤٨) برجا مشدة مع السور بحجر الكلس غير المهندم والجص للبناء والاكساء، ويمكن تصنيف ابراج هذا السور الى اربعة مجاميع[٤٤]، وهي ابراج الاركان توزعت بواقع اربعة ابراج يحتل كل منها ركنا من اركان السور تقوم على قواعد مربعة وهي صلده مثل السور الى ارتفاع (١٠,٥م) ثم

---

[٣٩] محمد طه، المصدر السابق، نفس رقم الصفحة.
[٤٠] فاروق، المصدر السابق، ص١١٦.
[٤١] محمد طه، المصدر السابق، نفس رقم الصفحة.
[٤٢] صبيح وصلاح، المصدر السابق، ص١٤٠.
[٤٣] ابراهيم سرحان الشمري، البرج في العمارة العربية الاسلامية حتى نهاية العصر العباسي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب، ١٩٩٦، ص٧١.
[٤٤] عيسى واخرن، المصدر السابق، جص، ص٤١، وابراهيم الشمري، المصدر السابق، ص٧٢.

تتحول هذه الابراج عند الممر (الدهليز) الى غرف تشكل ثلاث ارباع الدائرة مسقفه بقباب نصف كروية وتخترق الجدران الخارجي لغرف الابراد خمسة مزاغل، ويرقى الى غرف هذه الابراج عن طريق سلالم اقيمت في الزوايا الاربع للسور من الداخل تنفتح الى الممر ومنه الى غرف الابراج، وقد صممت هذه السلالم بشكل ملتوي بزوايا قائمة وهي ميزة دفاعية، خاصة عند اقتحام الحصن من قبل العدو اذ يجد صعوبة في الصعود بسرعة لانه يتوقع من بباغته في الالتواءات[٤٥].

ومن الابراج الاخرى هي ابراج الاضلاع التي تنتظم على طول اضلاع السور الاربعة ويبلغ عددها (٤٠) برحا نصف اسطواني تتشابه ممن حيث الشكل والابعاد فيما بينها، وهي موزعة بالتساوي على الجدران الاربعة بواقع عشرة ابراج لكل ضلع خمسة على يمين مدخل الضلع وخمسة على يساره، وتبرز هذه الابراج عن سمت السور بمقدار (٢,٦م) ويبلغ قطر كل فيها (٣,٣م) وهي كذلك صلدة لارتفاع (١٠,٥م) ثم تشكل عند الممر غرفا نصف دائرية مثقفة بأنصاف قباب، وغرفها اصغر نسبيا من غرف ابراج الاركان وكذلك تخترق جدرانها مزاغل شبيهة تلك التي في ابراج الاركان ولكنها اصغر منها حجما[٤٦].

اما برج المدخل الرئيس فيتخذ شكلا مستطيلا يبرز عن واجهة السور بمقدار (٥,١٢م) و تتوسطه فتحة المدخل التي يبلغ عرضها (٢,٦م) التي تشطره الى جزئيين مستطيلين ايضا يكون كل منهما بهيئة غرفة مظلمة من الداخل[٤٧]. وللمداخل الاخرى ابراج يتوسط كل ضلع من الاضلاع الثلاثة للسور مدخل يتكون من برج نصف اسطواني تشطره فتحة المدخل الى ربعي الدائرة، ام من الداخل فتتشابه هذه المداخل مع المدخل الشمالي وجميع ابراج المداخل صلدة حتى فمنها اذ لا يخترقها الممر، خلافا لما عليه ابراج الاركان والاضلاع التي تصبح مجوفة بعد ارتفاع (١٠,٥م)[٤٨].

اما السور الثالث فقد دعمت اضلاعه بأبراج نصف اسطوانية مشابهة لأبراج السور الرئيسي ولكن اصغر حجما، وهي ابراج بنائية صلدة لدعم الجدران اذ لم تزود بأية وسائل دفاعية، وقد توزعت بواقع ثمانية ابراج في كل من الضلعين الطويلين الشرقي والغربي، وخمسة تدعم الضلع الجنوبي، اما الركنان الجنوبي الغربي والجنوبي الشرقي فقد دعم كل ببرج اسطواني قطاعه ثلاثة ارباع الدائرة، فيصبح مجموع الابراج التي تدعم هذا السور (٥٣) برجا[٤٩].

---

[٤٥] صبيح، د. صلاح، المصدر السابق، ص٤٢.
[٤٦] فاروق، المصدر الاسبق، ص١٢٩.
[٤٧] صبيح وصلاح، المصدر السابق، ص١٤١، عيسى واخرون، المصدر السابق، ج٢، ص١٦.
[٤٨] فاروق، المصدر السابق، ص١٣٩.
[٤٩] المصدر السابق، ونفس رقم الصفحة.

ومن التحصينات الدفاعية في حصن الاخيضر المزاغل وتعرف المصادر التاريخية بأسم (مرامي النشاب)[٥٠]. وهي احد عناصر العمارة الدفاعية.

ومن اهم مقوماتها الاساسية في الدفاع، والمزغل عبارة عن نافذة يطل منها المقاتل لغرض مراقبة ما يجري خارج الاسوار وعن طريقه يتم رمي السهام والمقذوفات الاخرى، وتكون فتحات المرامي بـ (٠,٣٥م) ويبلغ مجموعها (٩٤) زاغل عادة واسعة من الداخل وضيقة من الداخل، فالفتحة الواسعة من الداخل تعطي للرامي حرية الحركة في عملية الرصد والرمي، واما ضيقها من الخارج فهو لحماية الرماة من اسلحة المهاجمين، كما ان الفتحة الضيقة تزيد من تصويب الرمية ذاتها[٥١]. وتكون الاعقاب السفلى للمزاغل من الخارج احيانا مائلة للمساعدة في رمي المهاجمين القريبين من الاسوار، اما ارتفاع هذه الفتحات فغالبا ما يكون بمستوى صدر الرامي او دونه لتيم الرمي من وضع الوقوف[٥٢].

وتعد مزاغل حصن الاخيضر احد اهم التقنيات الموجودة في الحصن، وهناك نوعين من المزاغل الاول المزاغل الشاقولية وهي من نوع المزاغل المفردة البسيطة التصميم يبلغ مجموعها في السور الرئيس وابراجه ٣٢٨ مزغلا، وهي موزعة بواقع (٢٠) مزغلا في ابراج الاركان الاربعة لكل برج خمسة مزاغل و (١٢٠) مزغلا في ابراج الاضلاع لكل برج ثلاثة مزاغل باستثناء ابراج المداخل التي لم تفتح فيها مزاغل و (١٨٨) مزغلا في الجزء العلوي المجوف بين بدن السور وبواقع (٤) مزاغل بين كل منهما مزغلان فيكون عدد المزاغل في بدن الضلع الشمالي (٤٤) مزغلا و (٤٨) مزغلا في كل من الاضلاع الشرقية والجنوبية والغربية[٥٣]. ما هيئة المزاغل فتجدها في ابراج الاركان تأخذ كل منها شكل حَنيه كبيرة من الداخل عرفتها (٠,٩٠م) وارتفاعها (١,٥٥م) وعمقها (١م) تسمح للمزاغل بالحركة المناورة ودقة التصويب. وقد وزعت المزاغل الخمسة في كل برج بشكل هندسي و بأفضل زاوية مقدارها (٥٥) درجة فيصبح قوس الرصد في كل برج (٢٢٠)[٥٤] درجة وهكذا تتلاحق تقاطع اقواس الرصد والرمي، فنحصل نتيجة لذلك على منطقة قتل من السهام المقراضية في الحروب الحديثة النار المقراضية[٥٥].

---

[٥٠] ابن القوطي، كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق، ت٧٢٣هـ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في اعين المادة السابعة، تحقيق د. مصطفى جواد، بغداد ١٣٥١هـ، ص٢٣.

[٥١] حمزة حمود حمزة، النوافذ في العمارة العباسية، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب- جامعة بغداد، ١٩٩٠م، ص٢١٢.

[٥٢] فارق، المصدر السابق، ص١٥١.

[٥٣] فاروق، المصدر السابق، ص١٥٣.

[٥٤] ابراهيم، المصدر السباق، ص١٥٤.

[٥٥] صبيح وصلاح، المصدر السابق، ص١٤٠.

وثمة نوع اخر من المزاغل هو الافقية وهي فتحات افقية مستطيلة تقوم في النهاية العلوية لكل حنية من الحنايا المحصورة بين ابراج السور، اسفل المزاغل الشاقولية وتنحصر هذه الفتحات بين الواجهة الخارجية للسور والوجه الداخلي للعقود البيضوية التي تتوج كل حنية ويبلغ عرض كل فتحة (٠,١٧)[٥٦] وترتفع عن ارضية الممر المعني بـ (٠,٣٥م) ويبلغ مجموعها (٩٤) مزغلا، موزعة (٢٢) مزغلا في الضلع الشمالي و(٢٤) مزغلا في كل ظلع من الاضلاع الشرقية والجنوبية والغربية، وتتركز اهمية هذا النوع من المزاغل في انها تعط خطوة دفاعية لاحقة لعمل المزاغل الشاقولية وهي تقوم مقام العنصر الدفاعي الذي يعرف بالسفاطة[٥٧]. وتوجد مثل هذه المزاغل الافقية في المداخل الاربعة للحصن[٥٨].

وختاما لابد من الاشارة الى ان حصن الاخيضر هو اقدم مثال للعمارة الدفاعية القائمة في القرن الثاني للهجرة وذلك من خلال الدراسات الاثارية التي اعطت تاريخ تقريبي له. ويكمن السبب في بقائه قائما لحد اليوم محتفظا بعناصره العمارية والدفاعية، هو قوة ومتانة المواد المستعملة في البناء فضلا عن متانة اسواره.

قائمة المصادر

١- القرآن الكريم.
٢- ابن منظور، جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، دار صادر بيروت، ١٣٣٥- ١٩٥٧م.
٣- ابن الفوطي، كمال الدين ابو الفضل، ت٧٢٣ه، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في اعيان المائة السبعة، تحقيق د. مصطفى جواد، بغداد، ١٣٥١هـ.
٤- دائرة المعارف الاسلامية، ١٩٣٣.

5 -Bell, G.L, Place and Mosque

at ukaidir, oxford, 1991,

قائمة المراجع:

١- ابراهيم سرحان الشمري، البرج في العمارة العربية الاسلامية، اطروحة دكتوراه، كلية الاداب- جامعة بغداد، ١٩٩٦.
٢- احمد فكري، المدخل، مصر، بدون تاريخ طبع.
٣- حمزة حمود حمزة، النوافذ في العمارة العباسية، اطروحة دكتوراه كلية الاداب- جامعة بغداد، ١٩٩٠.
٤- رفاه جاسم السامرائي، مدرسة سامراء في التصوير العربي الاسلامي، رسالة ماجستير، كلية الاداب- جامعة بغداد، ١٩٨٥.
٥- رفاه جاسم السامرائي، الطراز الحيوي في العمارة العربية الاسلامية، مجلة كلية الاداب، ١٤٢٧ه- ٢٠٠٧م، العدد ٧٦.

---

[٥٦] غازي رجب محمد، العمارات العربية الاسلامية في العراق، بغداد، ١٩٨٣، ص٩٠.
[٥٧] السفاطة: شرفة بارزة عن السور أو البرح او القلعة، او اي بناء حصين تقام عادة فوق المدخل، مزودة بفتحة في ارضها يلقى السهام والمواد الحارقة في حالات الحصار، عبد الرحيم، المصدر السابق، ص٢٢٦.
[٥٨] غازي، المصدر السابق، ص١٥٥.

٥- صالح احمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، الموصل، ١٩٨١.
٦- صبيح محمد رؤوف و د. صلاح حسين العبيدي، المظاهر العسكرية لحصن الاخيضر، مجلة سومر، العدد ٣٢، ١٩٧٦.
٧- طاهر مظفر العميد، الاخيضر ومظاهره العسكرية، نخبة من الباحثين العراقيين، بغداد، ١٩٨٥.
-عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الاسلامية، بيروت، ١٩٨١.
٨- عيسى سلمان واخرون، العمارات العربية الاسلامية في العراق، بغداد، ١٩٨٢.
٩- غازي رجب محمد، العمارة العربية الاسلامية، بغداد، ١٩٨٣.
-مديرية الاثار العامة، الاخيضر، بغداد، ١٩٣٧.
١٠- محمد علي مهدي، الاخيضر، مديرية الادارة العامة، بغداد، ١٩٦٩.
١١- محمد عبد الستار عثمان، الاعلان باحكام البنيان ، لابن رامي، دراسة اثرية معمارية، الاسكندرية، ١٩٨٨.
١٢- فاروق محمد علي، الاستحكامات الدفاعية في تخطيط المدن والعمارة العربية الاسلامية، اطروحة دكتوراه، كلية الاداب- جامعة بغداد، ٢٠٠٦.
١٣- نبيل عبد الحسين راهي، الاديرة والكنائس المسيحية في ضوء المصادر التاريخية والتنقيبات الاثرية حتى نهاية القرن الثاني بالهجري/ الثامن الميلادي، اطروحة دكتوراه، كلية الاداب- جامعة بغداد، ١٣٣٧ه- ٢٠١٦م.

شكل ١ عن كتاب الاخيضر – علي محمد مهدي

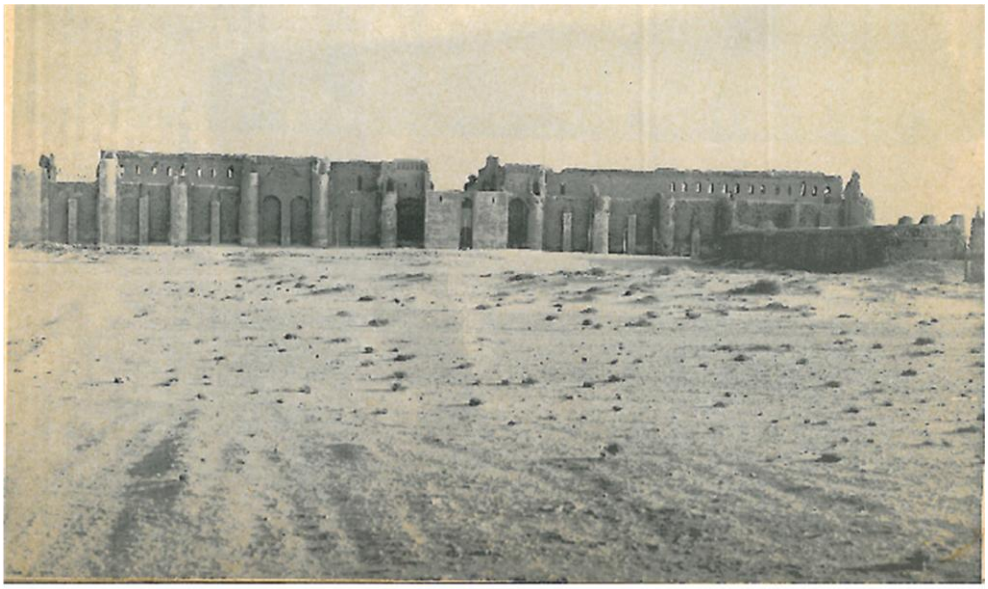

شكل ٢ عن كتاب الاخيضر – علي محمد مهدي

شكل ٣ عن كتاب الاخيضر – علي محمد مهدي

شكل ٤ عن كتاب الاخيضر – علي محمد مهدي

شكل ٥ عن كتاب الاخيضر – علي محمد مهدي

شكل ٦ عن كتاب الاخيضر – علي محمد مهدي

شكل ٧ عن كتاب الاخيضر – علي محمد مهدي

شكل ٨عن كتاب الاخيضر – علي محمد مهدي

شكل ٩ عن كتاب الاخيضر – علي محمد مهدي

Al-Ukhaidir Fortress, the Oldest Defensive Buildings in Iraq

Prof. Rafah Jassim Al- Sammarie•

Abstract:

Al-**Ukhaidir Fortress** is one of the existed landmarks in Iraq. It is situated in Karbala governorate, 135km south of Baghdad, 50 Km south of Karbala. It is one of the distinctive defensive forts due to its unique manifestation in Arab Islamic architecture, mainly in the middle east architecture.

Dated back to the Abbasid era, many studies focused on this complex, some of which suggest that it was erected during the early Abbasid era (132-656AH), during the reign of Abu Ja'far Abdallah (136-158AH).

The most significant manifestation is the thick walls and towers distributed along the walls and the longitudinal openings above the main entrance, which are used to pour hot liquids on the attacker in the event of the attack.

The study of the **Fortress** is of great importance due to its defensive nature in addition to the fact that it represents an integral architectural unit where in many elements are represented. Those are considered as physical evidence on the date of these elements in the Arab Islamic architecture in Iraq, including the pointed arch, the dome, the buttresses, the value in

• **A Professor in Islamic Archaeology College of Arts – Department of Archaeology Baghdad University** dr.albazzi@gmail.com

addition to other decorative elements that emerged in many parts of the fortress. All combined constituted key materials to follow up on emergence of the architectural elements during the Abbasid era in Iraq.

The fortress maintain all of its parts, including the main hall, houses, mosque and other unites annexed to.

This study focuses on many facts and the importance of the fortress . those have positively contributed to adding additional attention to the fortress in addition to its location which constitute great importance from historical and geographical prospective as a center for the passing caravans.

Set of pictures and blueprints will be included in this study.